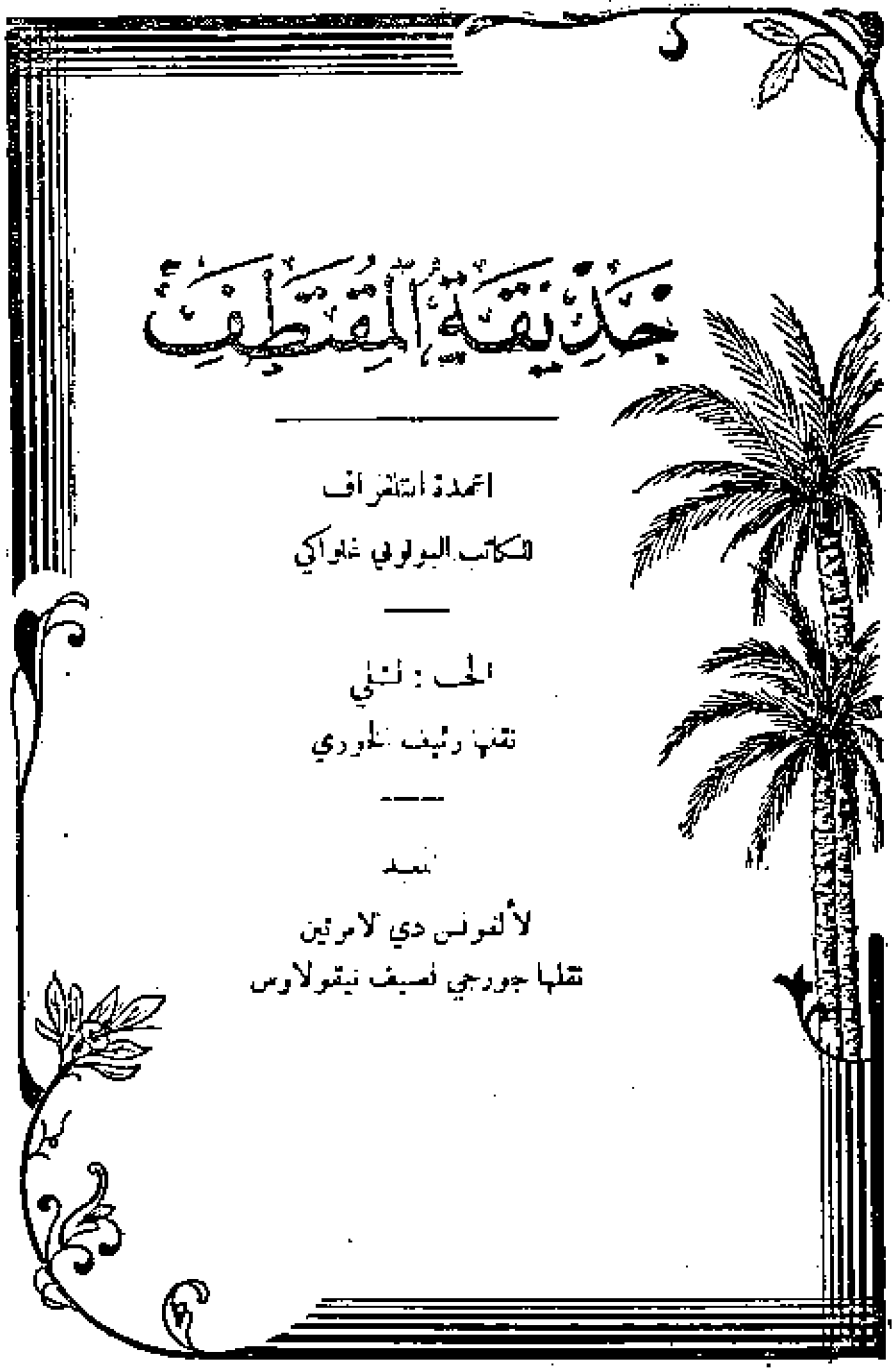

حديقة المقتطف

أنشودة الاستغراق

للكاتب البولوني شلواكي

الحب : لشلي

نقله رئيف خوري

المعبد

لألفونس دي لامرتين

نقلها جورجي نصيف نيقولاوس

الاميرة والتلغراف

للكاتب البولوني غلواكي

زارت احدى الاميرات ملجأً لليتامى . فعرض لها مشهد كان غاية في الندرة والغرابة . فأنها رأت اربعة صبيان في عراك شديد آخذاً كل منهم بتلابيب الآخر ، وهم يوسعون بعضهم بعضاً لكماً ولطماً ، نزاعاً على كتاب ممزّق بين ايديهم فاستفظعت عملهم هذا وصاحت بهم صيحة الزجر والانتهار قائلة : — علامَ هذا الصراع ايها الاولاد الحمقى ؟ فأقلّ عقاب تستحقونهُ عليهِ ان تُحرموا نصيبكم من الكعك وتوضعوا ركّعاً في الزاوية

فاجابها واحد منهم ، معتذراً عن ذنبه ومشيراً الى صبي آخر :

— انهُ اغتصبني كتاب روبنصن كروزو

فقال ذاك : هذا كذب وبهتان ! انهُ هو الذي اغتصب الكتاب !

وقال صبيٌّ ثالث : لله ما اشد افتراءك ! افلست انت من انتزع الكتاب مني ؟

وكانت ناظرة الملجإِ قد بادرت الى تدارك الأمر فوضعت حدّاً لصراعهم ونزاعهم . ثم خلت بالاميرة وقالت لها ان ما شهدتهِ اليوم في الملجإِ كثير الحدوث ، مع اتخاذ كل ما يمكن اتخاذهُ من وسائل المراقبة التامة . وذلك لان الاولاد مولعون بالمطالعة ولعاً يفوق الوصف والملجأُ في اشد احتياج الى الكتب

فهاج هذا النبأُ في قلب الاميرة شرارة شعور غريب لم يخطر من قبل ببالها . لكنها رأت انّ مواظبتها على الافتكار فيه مجلبة للعناء والقلق فأغفلتهُ وبذلت جهدها في نسيانه الى ان زارت ذات يوم رئيس المستشارين وتناول الحديث بعض الشؤون

الدينية واعمال البرّ والصدقة فتذكرت حادثة ملجإِ اليتامى وقصتها عليهِ واعادت ما قالتهُ لها ناظرة الملجإِ

ولما فرغت من كلامها طرأ على المستشار ما كان قد سبق فطرأ عليها من الشعور بامر غريب غير مألوف . فأعارهُ جانباً من عنايتهِ واهتمامهِ واستصوب ان يبعث ببعض الكتب الى اولئك اليتامى . وتذكَّر انهُ كان قد اشترى ، منذ وقت طويل ، طائفة كبيرة من الكتب لاولادهِ وهي الآن مودعة رفارف المكتبة وبعض الصناديق يغشاها الغبار وتعبث بها ايدي الدثور والبلاء . ولكنهُ لم يشأ ان يتحمل عناء البحث عنها ومشقة جمع شتاتها وارسالها الى الملجإِ

وفي مساء ذلك اليوم زار المستشار صديقاً لهُ كان عنوان المروءة والاريحية وكانت حياتهُ كلها وقفاً على انشاء الملاجيء والمتصدقات ومساعدة لجان البر والاحسان . فروى لهُ ما شاهدتهُ الاميرة في ملجإِ اليتامى وما قالتهُ لها ناظرة الملجإِ وزاد على ذلك تصريحهُ بعزمهِ على ارسال بعض الكتب ووجوب التعاون على معونة اولئك اليتامى وسدِّ عوزهم الادبي . فقال لهُ صديقهُ :

— الخطب سهل الى الغاية ! غداً صباحاً اذهب الى مكتب جريدة « الكوريرِ » واوجه فيها نداء الى ذوي النجدة ليبادروا الى ارسال الكتب التي يحتاج اولئك اليتامى اليها

وفي صباح اليوم التالي خفَّ ذلك الاريحي الى غرفة مدير هذه الجريدة وحدثهُ بما سمعهُ من صديقهِ المستشار والحّ عليهِ باسم الانسانية ان ينشر في جريدتهِ النداء المطلوب

واتفق لحسن الحظ ان الجريدة كانت يومئذٍ في حاجة شديدة الى خبر رائع طريف يستوقف نشره انظار قرائها ويشغل ما كان باقياً فيها من الفراغ . فجلس محررها من فوره — وانشأ مقالة رنانة في هذا الموضوع عنوانها : « جوع النفوس : بضعة اولاد : في ملجإِ يتامى — بعضهم ناب الاحتياج الى الكتب — إن شوقهم إليها اعظم من ان يوصف — لا تلمسوا نفوسهم الجائعة ! »

وبعد بضعة ايام ذهب المحرر الى مكتب الجريدة ومعهُ واحد من اصدقائه وكان

استاذاً للفلسفة الطبيعية . فلقي عند الباب رجلاً رثّ الملبس وسخ اليدين وبجانبه فتاة صغيرة صفراء الوجه نحيلة الجسم وعليها اطمارٌ بالية تكاد لا تكفي لستر عريها وهي حاملة رزمة كتب قديمة . فسأله المخبر :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

فرفع الرجل قبّعتهُ واجاب بخشية واحتشام

— جئنا يا سيدي ببعض الكتب للاولاد ذوي النفوس البائسة الذين كتبت عنهم . وحنت الفتاة الناحلة رأسها وصبغ الحياءُ محياها المغشى بصفرة فقر الدم. فتناول المخبر الكتب منها وسلمها الى خادم المكتب . وسأل اباها :

— ما اسمك ياسيدي ؟

فاجابهُ بحيرة وارتباك :

— لماذا تروم ياسيدي ان تعرف اسمي ؟

— لابدّ لنا من معرفة اسم المتبرع بهذه الكتب لكي نعلنهُ في الجريدة

— لا ارى اقلّ ضرورة تدعو الى ذلك . فارجو ان تغض النظر عنهُ ولا تعيرهُ شيئاً من الاهتمام . اني رجل بائس ومسكين وواحد من عمال مصنع القبعات . فلست بمستحق ان يعنى بأمري وينوّه باسمي

قال هذا وانطلق ذاهباً بابنتهِ الصغيرة النحيفة

وبعد ذهابهِ التفت المخبر الى صديقهِ الذي كان يقرأ ومسح من كل ما حدث وقال له : — ان وقوع هذه الحادثة في اثناء وجودك معي — وانت استاذ الفلسفة الطبيعية — أخطرَ ببالي فكر المخاطبة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى . والمكتب الذي تسلمهُ كان العامل في مصنع القبعات . فلما اشار الاول مسترعياً الانتباه لبّاهُ الثاني من فورهِ . وعند ما صرّح ذاك بحاجتهِ بادر هذا الى قضائها . اما نحن الباقين فكنا — جميعاً — اعمدة التلغراف !

الحب : لشلي

قالت علامَ أرى الغدير
أبداً على عجلٍ يسير
موصولة أنّاته
وشجية نغماته
أفليس يأخذه الملال
أفليس يزعجه الكلال ؟

***

فأجبتها لا تذهلي
من سيره المستعجل
النهر صبٌّ حائر
نحو البحيرة سائر
اذ يهنوان ويشدوان
وبغبطة يتعانقان

***

قالت واغصان الشجر
تبدو حجاباً للنظر
فعلام تشتبك الغصون
فتصون تجوال العيون
لا الريح تحرفها ولا
تضطرها أن تفصلا ؟

***

فأجبتها لو تعلمين
ما بالغصون من الحنين
لجلست في ظل السكون
تدرين أسرار الشؤون
يا فتنتي إن الغرام
أدّى بها للانضمام

***

قالت ولمّ تبدو النجوم
محومة فوق الغيوم
للبدر تنظر ساهيه
فتعود عنهُ باكيه
وتصعد الزفرات نار
حتى يوافيها النهار ؟

***

فأجبتها ان النجوم
تطوي النفوس على كلوم
قد أصبحت تهوى القمر
أمسى يبرحها السهر
هي تبتغي منهُ النوال
فيصدها عزّ الجمال

***

قالت فان كان الغدير
من فرط صبوته يسير
والغصن برّحه هواه
فأقام ملتزماً اخاه
والنجم برّحه السهر
مذ راح ينظر للقمر
اني لذات حشىً خفق
فلنعتنق .. فلنعتنق...!!!

[نقلها وليف الخوري]

الهيكل

لالفونس دي لامرتين

ما أحيلى ما يبدو للانسان في المساء ، عند ما يرتفع ببطء ، في قُبّة السماء الكوكبُ الفرد ، متقدماً عفّة الليل الصامتة ، وقد تنازع الارض الضياء والظلام ،

بل ما احيلى ما يشعر به ، عند ما ينقل خطواته المقدسة ، في مُستَقَرّ الوادي ، ميمماً صوبَ المعبد الخفي ، وقد غطى الطُحلُبُ رواقه البسيط ، حيث السماء لم تزل بعدُ ، تخاطب القلوب التقيّة

سلاماً ايتها القباب المقدسة ! سلاماً ايتها المقابر الحزينة ! انت الامينة على مقابر التربة البسيطة ، اني ازورك ، حينما امرُّ بك آثارك الخالية من كل زخرف ، والويل لمن تحدّثه نفسه ، بتدنيس تراب الموتى ، فأني لا جثو خاشعاً ، تجاه الصلبان التي لا رُواء لها ، واعفّر خدي بترابهم ، الذي هو اجسادهم الباقية

ما اشدَّ رَوْعَةَ الليل في جَوْف الهيكل ! وما ارهب ذلك السكون الشامل ! والعين لا تكاد تميّز في الظلام ، نورَ ذلك القنديل المرتعد ، المُشتَعِل قُبالة المذابح المقدسة ، انهُ يتلألأ وحيداً والخليقة جمعاء نائمة ، فهو رَمْزٌ مُعبّرٌ للعناية الساهرة ، تتقبّل في هذا المكان ، تنهدات الانام وتأوهاتهم

لنتقدم ، لا يطرق أُذُني صوت حيٍّ ، فالسكوت شامل ، والفِناء وحده يرتمد تحت خَطَواتي الموزونة ، لقد تعدّيت درجات المذبح ، وها انا واقف ، والمهابة تتملّك كل مشاعري ، لقد صعدت بِرُوحي الى عَلٍ ، متنقلاً عن دنياي بديني ، فيا أيتها الحيطان المُهيبة في وَحْشَتِها ، وأيتها الهياكل الناطقة في سكوتها ،

اني لديك وحيدٌ منفرد ، ونفسي الحزينة تنشد في تقرّبها خشيةً ورهبةً ، لتسكب أمامك آلامها ، وما تفيض به جوارحها ، وتُسِرَّ الى السماء مكنون سرها ، الذي تطّلع عليه وحدها ، ولا يسمعهُ أحدٌ سواك

ولكن ماذا ! أأجرؤ على الدنوّ من هذه المذابح دون خوف ولا وجل ، أأجرؤ يا الهي ان اقدم في هذه الحظيرة المبجّلة ، قلباً ما فتئ مشتعلاً بالالم والحب ! دون ان تأخذني الرعدة ، ويتملكني الهلع ، مخافة ان تنتقم جلالتك المقدسة ، للاحترام الواجب لقربك السامي ؟

ولكن لا ، اني لا احرّ خجلاً من النار التي تتأكلني ، فالحب يكون طاهراً تقيّاً ، اذا ما اضرمته الفضيلة ، طاهراً كالذات التي تبتغي هواها

ان حبي يشغل فؤادي ، ولكن بنار مقدسة ، فالثبات يدعمه ، والمغائب تنقيه من كل شائبة ، فأبوح به للأرض وللطبيعة بأكلها، وامام هيا كلك المقدسة ، اردده دون خوف ولا حياء ، واذهب الى ابعد من ذلك فاجترئ ايها الاله القدير ، على ذكره بحضرتك العليّة ، فرغماً عن الرعب الذي يوحيه اليّ معبدك ، فقد تمّ في تخفّوت اسم مالكة فؤادي ، وهذا الاسم الذي انتقل صداه من قبر الى قبر ، قد عكر هدوء الفلاة الحزينة ، كأنه انّة شكيّة لشبح يتأوه

وداعاً ايتها الآثار الباردة ، وداعاً ايتها المساكن المقدسة ، لقد ردد الصدى البلي الساعات مرتين ، وانا واقف امامك خاشعاً ذاهلاً ، ابكي بعين سجوم ، وقلب كليم ، واني أغادرك متأسياً معزّى ، لان السماء رأت عبراتي ، وابصرت ذلي وإمانة نفسي

وقد تكون تلك التي اندب فقدها ، ساهرةً في هذه اللحظة ، على شاطىء آخر ، مع صورتي وقد جثت على درج هيكل ، والدموع تنهمر من مآقيها ، لتبوح بذات صدرها ، وتُسِرّ بآلامها وأشجانها

[نقلها جورج نيقولاوس]